

داعش ستحترق بنيران تطرفها

2015-02-09 عريب الرنتاوي

لا يكاد يمضي يوم واحد من دون أن يكون محملاً بالأخبار عن حالة "التفكك الداخلي" الذي يعيشه تنظيم الدولة الإسلامية... صحف أمس فقط حملت خبرين: الأول، عن قيام التنظيم بإعدام اثنين من "مجاهديه" السعوديين لأنهما قررا الانسحاب من جبهة كوباني - عين العرب... والثاني، تحدث عن إعدام ثلاثة صينيين رمياً بالرصاص ومعهم أحد عشر "مجاهد" آخر من جنسيات أجنبية، جاءوا "للجهاد" في صفوف داعش، ثم قررا الانسحاب من المعركة سالمين، لكن سيوف داعش ورصاصه ومحاكمه "غير الشرعية"، كانت الأسرع في النطق بالحكم وتنفيذه.

المسلسل اليومي لقتل "المتخاذلين" و"الفارين" و"المنسحبين" و"الخونة" لا يكاد يتوقف، وتحديداً منذ بدء الضربات الجوية لقوات التحالف الدولي، تضاف إليه معلومات تقول بأن "المجاهدين الأجانب" في الشمال السوري، أخذوا يتوجهون إلى الجبال الوعرة والمكتظة بكهوفها ومغائرها في الريف الشمال للاذقية على مقربة من الحدود السورية التركية، بحثاً عن ملاذ آمن من ضربات التحالف وقوات النظام كذلك... أما ألوف المجاهدين المحليين وعائلاتهم، فقد فروا إلى تركيا بحثاً عن الأمن و"الماء والكلأ".

تأتي هذه التطورات، في ظل أنباء متواترة، عن خلافات وانشاقات، فالمسؤول عن أموال زكاة المسلمين في دولة الخلافة يفر إلى تركيا بأكثر من مليار ليرة سورية جمعها بحد السيف وسطوة الدين الحنيف، ويلتحق بذلك بالمسؤول "الشرعي" الأول في داعش، الذي سبق الجميع في رحلة الهرب إلى تركيا أيضاً (دائماً إلى تركيا)، مع أن المنطق يقول إنه الرجل الذي يفترض فيه أن يكون الأكثر إيماناً بالقضية واستعداداً للنيل الشهادة في سبيلها... تقارير أخرى، تحدث عن اختراقات أمنية وتسليم محاور وجبهات لخصوم داعش وأعدائها.

قضايا الخلافات الداخلية وموضوعاتها تتوزع على عدة محاور: صراعات بين المحليين والوافدين، هؤلاء أقل تطرفاً من أولئك، وتربطهم بالمنطقة وعشائرها وأهلها، صلات وعلاقات ومحاذير....

صراعات بين "شرعيين سلفيين ووهابيين" وآخرين من بقايا حزب البعث والجيش العراقي المنحل، الذين "أسلموا" ولكن "لم يحسن إسلامهم" من وجهة نظر أبناء المؤسسة الدينية والشرعية... صراعات براغماتية، تدور في غالبها حول جدوى القتال المستميت في جبهات "ساقطة عسكرياً"، وهنا تبرز معركة كوباني بوصفها أنموذجاً للقرارات غير العقلانية، المحكومة بدوافع غبية وغيبية، تصدر عن قيادة التنظيم.

تطرح هذه الوقائع، جملة أسئلة وتساؤلات، منها على سبيل المثال لا الحصر، السؤال المتعلق بجدوى الضربات الجوية لقوات التحالف ضد مواقع داعش ومقراتها وقوافلها... البعض يجادل جازماً بانها "تكتيك عسكري" غير مجدٍ، وأن على التحالف التفكير بتطوير حربته على "دولة الخلافة"، والانتقال إلى الحرب البرية... المعطيات الأكثر دقة تقول: إن الضربات الجوية لم تنه التنظيم ولن تنهيه، وهذا صحيح، لكن الصحيح كذلك، أن هذه الضربات تسهم بفاعلية في شل حركة التنظيم، وإلحاق خسائر جسيمة في أوساطه، وإبقائه في حالة استنفار على مدار الساعة، إرهاقه واستنزافه، بل وإثارة مشاعر إحباط لدى الألوف من منتسبيه من خارج الحلقة الضيقة الصلبة لكوادره وقياداته العقائدية المجربة.

والمعطيات تؤكد، أن تكثيف هذه الضربات، من شأنه الحد من توسع هذا التنظيم وتمددده، وهو أمر بات ملحوظاً في الأسابيع الأخيرة، حيث عجز التنظيم عن تسجيل أي تقدم جدي أو اختراق، لا في سوريا ولا في العراق، بل على العكس من ذلك تماماً، إذ أخذ يخسر مناطق ومحافظات ليست كوباني السورية وديالى العراقية، سوى شاهدين على المكانة المتراجعة للتنظيم، في حين تكشف معارك المقدادية ومناطق في نينوى والأنبار، عن وضع دفاعي حرج يجد مقاتلو داعش أنفسهم فيه.

لا يعني بذلك، أن داعش قد انهار وانتهى أو أنه على وشك رفع الرايات البيضاء... الحرب مع داعش ما زالت بعيدة عن خط النهاية، وهي بالضرورة تنتظر حشد وتأهيل قوات برية تستكمل الأثر الذي تحدثه الضربات الجوية وتتناغم من عملياتها... وطالما إن المجيء بهذه القوات من خارج سوريا والعراق، يبدو أمراً متعذراً، فإن المنطقي والمطلوب، هو دعم القوات التي تقاوم داعش على الأرض من سورية وكردية وعراقية، وفي سياق عملية سياسية تحدث التوازن في النظام السياسي العراقي، وترسي قواعد حل سياسي للأزمة السورية، بصورة تسمح بالتعاون مع الجيش السوري في خوض

المعارك مع التنظيم المتحصن شمالي شرق البلاد.

ومن دون التقليل من شأن الضربات العسكرية، الجوية والبرية التي توجهها أطراف عديدة للتنظيم، فإن "البعد الأمني - الاستخباري" ما زال عنصراً حيوياً في الحرب على الإرهاب... وهنا تشتد الحاجة لأوسع وأشمل عمليات التنسيق وتبادل المعلومات بين الأطراف المنخرطة في الحرب على الإرهاب، لضمان اختيار أكثر الأهداف أهمية وحيوية للتنظيم من جهة، وتقليل الخسائر البشرية في صفوف المدنيين المرتهنيين لحكم داعش من جهة ثانية.

هي حرب مديدة ومريرة بلا شك، بيد أنها من نوع الحروب الذي لا تملك دول المنطقة وشعوبها والمجتمع الدولي من ورائها، من خيار سوى الانتصار فيها... واحسب أن التنظيم الدموي قد دخل في مرحلة العد العكسي، حتى وإن كان لا يزال قادراً على مفاجأتنا بين الحين والآخر... وأبرز دلالة على المكانة المتأكلة للتنظيم، أنه أخذ يعيش وضعاً داخلياً صعباً، وانتقل من مرحلة إجبار السكان بقوة الحديد والنار على البقاء في "ولاياته" و"إماراته" إلى مرحلة إطلاق النار على ظهور "مجاهديه" الهاربين من جحيم المعارك والتطرف البالغ حد تعطيل العقل وشل الإرادة... ألم يقل من سبقنا بأن النار تأكل نفسها إن لم تجد ما تأكله.

.....

* الآراء الواردة لا تعبر بالضرورة عن رأي شبكة النبا المعلوماتية